

## الشخصية المتعددة والوسطاء

وضع خليل جبران الشاعر السوري الاميركي كتباً باللغة الانكليزية ضمنه كثيراً من الحكم على طريقة خيالية شعرية . وما اوردته فيسوان امرأة وابنتها كانتا مصابتين بداء الجولان في النوم ( سمنبولوم ) فالتقتا ذات ليلة في مكان خارج بيتها وما عشيان نأتمتت كل منهما الى الاخرى وكلتا كاتبا عدوا لها وعمت موتها . ثم صاح الديك فاستيقظتا وتكلمتا كلام الحب كام وابنتها

فرض الكاتب ان لكل من هذه المرأة وابنتها شخصيتين مختلفتين متناقضتين الواحدة في النوم والاخرى في اليقظة . وهذا ليس بالامر النادر . ثم ان المرء يستطيع غالباً ان يكبح جماح عواطفه في اليقظة ولكنه لا يستطيع ان يكبحها في النوم ولذلك يقال ان حالة المرء في يقظته صناعية أكثر منها طبيعية .

وما يحدث من الفرق الظاهر بين النوم واليقظة يدوم في البعض اياماً ذكر الفيلسوف الاميركي وليم جيمس في المجلد الاول من كتابه مبادئ الفلسفة العقلية المطبوع سنة ١٩٠٧ حادثة شخص سمح له بذكر اسمه وهو القس اثيل بورن . قال انه كان قد تعلم ليكون نهاراً . وكان معطلاً في مذهبه ولكنه اصاب يوماً بمحادث افقد البصر وانسع وقتياً فترك التعطيل وتدين وصار يجول للرعوظ والارشاد لكنه بقي معزولاً للصداع والكتابة والاعضاء وقد يدوم اغماؤه ساعة . وفيما سوى ذلك كان على تمام الصحة والنشاط حسن الاخلاق ظاهر السيرة

وفي السابع عشر من يناير سنة ١٨٨٧ سحب ٥٥١ ريالاً من بنك في بلديروفدنس واود في بعض الديون التي كانت عليه وركب مركبة تجرهما اغيل . وهذا آخر ما يتذكره . فلم يرجع الى بيته ذلك اليوم ومضى شهران ولم يسمع احد عنه شيئاً . وأعلن عن غيابه في الجرائد على غير جدوى حتى قام في الاذهان ان بعض الاشقياء قتلوه ليسلب ما معه من النقود

وبعد اسبوعين اتى رجل اسمه برون بلد نورستون واستأجر دكاناً صغيراً وجعل يبيع فيه الورق والاعواد والخفريات . وفي ١٥ مارس من نفس في الصباح ونادي اهل البيت الذي هو فيه وطب منبه ان يخبروه ان هو وقال لهم ان اسمه اثيل بورن ولا يعرف نورستون ولا البيع والشراء . وان آخر ما يتذكره انه

سحب دراهم من البنك في بروفيدينس ولا يعقد انه مضي شهران من حين  
سحبها . فظن اهل البيت انه مصاب بدخ في عقله واستدعروا له طبيباً فكان  
ظنه مثل ظنهم ولكنهم ارسلوا تنظراً الى بروفيدينس سألوا عنه فوجدوا  
ان ما قاله صحيح واتى ابن اخته حالاً وطاد به الى بيته وكان قد نحل جسمه حتى  
فقد من وزنه عشرين رطلاً . ولم يكن يُعلم ابن قضي الاسبوعين الاولين من غياب  
قبل استأجر الدكان في نورستون ولم يره احد يعرفه فيخبر بما كان من امره في  
ذيك الاسبوعين . وكان مدة اقامته في نورستون شديد المواظبة على عمله وتكلم  
مرة في الكنية فاحسن الكلام وذكر حادثة حدثت له وهو في حاله الاولى  
قال الاستاذ جيس : ان هذا كل ما عرفت من امره حتى سنة ١٨٩٠ واتقنته  
حينئذ ان يستهوى فاصابته الفيوبية حالاً ومادت اليه ذاكرته لما كان في حاله  
الثانية اي لما سمى نفسه برون . ولسي كل ما كان يعلمه وهو في حاله الاولى وقال  
انه سمع باسم اندل بورن ولكن لا يدرفه ولا اجتمع به في حياته . فقلنا له ألا  
تتذكر زوجتك من بورن فقال انه لم يكن له زوجة قط . ثم اخبرنا عما جرى  
له مدة احواله في البلاد في الاسبوعين الاولين من اختفائه وقال انه قضى نصف  
نهار في بوسطن ويلة في نيويورك ونصف نهار في نيوارك وعشرة ايام او اكثر  
في فيلادلفيا وكان يقضي الوقت في الراحة والقراءة والجولان . واخبرنا اخباراً  
مفصلة عما جرى له في نورستون كأن حياته كلها هي ما عاشه في حاله الثانية  
لا الاولى . ولم يذكر سيداً لجولان سوى انه لعب واراد الراحة . وكان منظره  
مدة غيبوبته هذه منظر رجل ضمن في المن يحاول ان يتذكر ما جرى له في  
ماضي حياته . وقد حاولت ان امزج بين شخصيتيه بالتوسم حتى يتذكر ما جرى  
له فيهما كليهما معاً فلم افصح .

ومن هذا القبيل حادثة وقعت لنا في هذه العاصمة . لقبينا فيها اول سنة  
قدمناها رجلاً في نحو الخمسين من العمر اصغر اللون قوي البنية دموي المزاج  
عمله الزراعة والادغام بالامور الزراعية حتى لا يكاد حديثه يخرج عنها . جاءنا  
ذات يوم بعد ان عرفناه واطمأنناه بضع سنوات واتص علينا قصة في غاية  
الغرابية قال اني ولدت في مدينة سيدك في خان الافرنج ولما اريد تعبيرى  
( صمادي ) اتق ان لويس فيليب ملك فرنسا كان هناك انى زائراً للقدس الشريف

فطلب والندائي منه أن يكون عمالي قبل وأهدى الي مليون فرنك وضعها باسمي في بنك فرنسا وقد بلغت الآن أكثر من عشرة ملايين من الفرنكات لكن ابن عمي ذهب الي فرنسا وادعى انه اذا قصد الاستيلاء على هذا المال . ثم جعل يشتبه ويلمئه . وكرر هذه القصة على سمعنا مراراً وثاناً بأوراق كثيرة قال انها مستندات تؤيد دعواه . لكن هذه الحالة كانت تزول بعد أيام فيعود الي جاري عادته يتكلم عن الزراعة ودودة القطن وما اشبهه من المواضيع

وبعد بضعة اشهر جاءنا ذات يوم وقد طلع له نالغ جديد وهو ان له خصوماً يتعمقونه ويشتمون بالتلفون . وبينما هو يتكلم قال لنا اسموا اسموا وانار الي التلفون الذي عندنا وقال ألا تسمعون ما يقوله هؤلاء ونهض الي التلفون وامسك سماعته ويجعل يشتمهم . وكرر زيارته لنا والدعوى ان خصومه يتكلمون عليه ويشتمون بالتلفون . لكن هذه الحالة كانت تفرقة ايضاً فيعود الي جاري عادته . وبعد مدة تطلبت حالة الجنون على حالة العنل حتى حاول قتل بعض ذوي موضع في المارستان ومن ثم جعل يرسل التقارير المسهبة اليها والى لورد كرومر وملك الانكليز ويضمها الفث والسجين الي ان خارت قواه وقضى نحبه مع شدة ما نتي من العناية . وقد كنا نرى فيه الحاتين العليلتين على تمام الجلاء ونرى انتقاله من احدهما الي الاخرى كأننا كنا نرى جانباً من دماغه او ذاكرته يسكن ويحفل فيضيق الجانب الآخر كما يحدث للوسيط حينما تقع عليه الغيبوبة . صورتمذر علينا ان نصدق ان شيئاً من الخارج كان يدخل دماغه ويؤثر فيه ثم يخرج منه ثم يدخل ثانية دواليك لاسيما ان اقواله واقواله في النوبة الواحدة لم تكن هي تماماً كليا ثابتة

وذكر صديقنا الدكتور وير مثل الاسيركي المشهور في كتاب مدرسة الاطباء بفيلا دلفيا سنة ١٨٨٨ حادثة قديمة من هذا القبيل فصلها تفصيلاً دقيقاً بليناً لانه كان من بقاء الكتاب عن فتاة اسمها ماري ريندز قال ما خلاصته : — وجدت هذه الفتاة ذات يوم مستغرقة في النوم بعد الساعة التي اعتادت ان تستيقظ فيها ثم استيقظت بعد ان مضى عليها ثلثة نحو عشرين ساعة ولكنها استيقظت على غير ما كانت عليه قبلما نامت فان ذاكرتها فارقتها تماماً وظهر كأنها وجدت في العلم في تلك الساعة وهي لا تدرك شيئاً ولم يبق من معارفها السابقة سوى التلقظ ببعض

اللائق كما يتلفظ بها الطنن من غير ان يكون لها ادنى علاقة بشيء كأنها لا تعني بها شيئاً . ولم تعرف احداً من ذويها لا والديها ولا اخوتها ولا اخواتها ولا اصدقاءها كأنها لم ترهم من قبل ولا رأت شيئاً مما حوطها لا البيت الذي ربيت فيه ولا الختول التي حوله ولا التلال ولا الغدران فان كل ذلك ظهر جديداً لديها كأنها ولدت تلك الساعة وفي تلك السن التي هي فيها

و اول شيء حاول ذورها فعليسها اياها معرفة ذويها وقرابتهم منها فتعذر عليها ان تصمم مرادهم من ذلك بل بقيت تحسب ذويها غرباء عنها واعداً لها وقد ألقيت بينهم على اسلوب لا تدركه

ثم حاولوا تعليمها القراءة والكتابة فتعلمتها حالاً وكتب اخوها اسمها لكي تكتب مثله فكتبت مثله ولكنها ابتدأت بكتابتها من آخره اي من اليسين كما تكتب العربية

وكانت في حالتها الاولى سرداوية المزاج تحب العزلة فصارت في حالتها الثانية انيسة ضحكة تحب المزح والاجتماع بالناس ومشاهدة جمال الطبيعة في الهضاب والوهاد فجعلت تضرب فيها ماضية او راكبة وقد تخرج في الصباح فتقضي النهار كله خارجاً الى ان يخيم الليل ولا تبالي هل هي سائرة في طريق مطروق او في بركة لا سبيل فيها. ولعلها كانت تميل الى الخروج من البيت لانها كانت تحسب اهله اعداء لها. ولم تكن تعرف ما هو الخوف فان الطراج التي كانت تضرب فيها كانت حينئذ كثيرة الادباب السوداء الضارية والاعمي السامة فخرها ذويها منها اما هي فلم تبالي بل كانت تضحك هازئة بهم وتقول لا يخفى علي السكم يسفون نحويني لكي ابقى في البيت اما الادباب التي تشيرون اليها فقد رأيتها وهي ليست الا كلاباً سوداء وذات ليلة قصت القصة التالية قالت بينما كنت راكبة اليوم في وادي ضيق اعترضني كلب اسود كبير لم أر في حياتي اوقع منه فانتصب على قدميه وكشعر عن انبائه فوقف فرسي واني السير كأنه خاف من هذا الكلب فصرته لكي يتقدم لجل يتأخر فنادت الكلب لكي يبعد من طريقي فاني ولما رأيت منه ذلك زلت عن فرسي وعدوت اليه والعصا بيدي فوقف على فؤاعه الاربع ودار وارتد في طريقه وهو يشغ بين هنيئة واخرى يلتفت الي ويصر باستانه ثم ربت وسرت في طريقي واستمررت على ذلك خمسة اسابيع ثم نهضت ذات يوم بعد نومه طويل واذا هي

في حالتها الاولى وجعلت تنظر الى والديها واخوتها واخواتها بالحُب والبشاشة كما كانت تنظر اليهم قبل ان تصابها ما اصابها كأنه لم يصبها شيء. وجعلت تتعاطى اعمامها في البيت كأن الاسابيع الخمسة التي مرت لم تكن في الوجود. ورأت ما حدث من التغيير في البيت فاستغربت حدوثه في ليلة واحدة ولم يبق في ذاكرتها اقل اثر لما اصابها في الخمسة الاسابيع الماضية ولا لجولانها ولا لاحاديثها مطلقاً. ولكن طاد اليها كل ما كانت تعلمه قبل ان تصابها ما اصابها. وعادت تحب العزلة وماودتها السوداء ولاسيما بعد ان قص ذووها عليها حديث ما اصابها. وبعد اسابيع قليلة نامت نوماً طويلًا واستيقظت وهي في الحالة المرضية التي مرّ وصفها وابتدأت هذه النبوة حيث انتهت تلك فزال من ذهنها انها ابنة لوالدين واخت لاخت واخوات وزال معاً ما عملته في الاسابيع الاخيرة التي استردت فيها حالتها الطبيعية ولكنها تذكرت كل ما اصابها في الحالة غير الطبيعية وحسبت ان الفاصل بينهما كان ليلة واحدة. وأخبرت حينئذ بحقيقة امرها فلم تبال لان خفة الروح كانت متغلبة عليها فلا تصاب بشيء. وتعاقت عليها هاتان الحالتان مدة خمس عشرة سنة او ست عشرة سنة واخيراً استمرت في الحالة الثانية المرضية ٢٥ سنة الى ان ادركتها الوفاة الا انها لم تكن في هذه السنوات الخمس والعشرين خفيفة الروح شديدة الجذل كما كانت اولاً حتى نلن البعض انها حالة نائمة لها بل صارت كثيرة التعقل وافرة الاجتهاد على مرور لا يفارقها ولين طبع محمد عليه. ولم يكن يظهر ان في عقلها اقل خلل. وعلمت في احدى المدارس في بعض هذه المدة وكان تلامذتها يحبونها ويكرمونها كباراً وصغاراً وقضت السنوات الخمس والعشرين الاخيرة في بيت ابن اخيها التمس الدكتور جون ريندلز وكانت في جانب من الوقت ربة لبيت فاحلت القيام عليه

قال الدكتور وير مثل ان الدكتور ريندلز هذا لا يزال حياً وهو الذي بعث اليّ بما تقدم من التفاصيل عن عمته وكتب اليّ في ٤ يناير سنة ١٨٨٨ يقول انها في اخريات ايامها جعلت تتذكر بعض ما جرى لها تذكرًا ولكنها لم تكن تعلم اذكرتها انتهت له او انه ناتج عما سمته من الغير عنها. وقد توفيت سنة ١٨٥٤ وعمرها ٦١ سنة وفي اليوم الذي توفيت فيه نهضت في الصباح لا تشكو شيئاً وانطرت وجعلت تمل اعمالها البيتية على جاري عادت ما وضعت يديها على

على رأسها بفتة وقالت لا ادري ماذا اساب رأسي ووقعت على الارض تحملت  
الى مقعد وللحال اسلمت الروح

وقد شاهدنا نحن حالة متكررة مثل هذه في صديق كان من اطرف الشبان  
واذ كان سقط في الامتحان الطبي ثم امتحن في العام التالي وجاز الامتحان  
ولكن سقوطه السابق اثر فيه تأثيراً شديداً جعلت نتائجه ثوبات بؤس وجدل  
كل يومين او ثلاثة . فاذا كان في حالة الجدل صار كلهُ ظرفاً لا يكف لسانه عن  
الكلام والتكلمت وزاد عقله مضاعف في تشخيص الامراض ووصف العلاجات . واذا  
انتابته حالة البؤس او السوداء ثم تعد تسع منه الا الشكوى والايين والتخرف  
من الناس . كان يزورنا وهو في حالة جدلٍ ويقم عندنا يوماً او أكثر وهو غاية  
في الظرف والايين ثم تتابيه السوداء فتتظم الدنيا في عيبيه وعيبنا كنا نحاول  
اقناعه بان هذه الحالة عرض مفارق وقد يكون سببها سوء هضم واذا قلل طعامه  
واستمر على تقليله فقد يصلح هضمه وتفارقة هذه السوداء ولا تعاوده . فيقول  
قد يكون هذا نصيب غيري اما انا فقد قضى علي . ثم صارت ثوبات الجدل تطول  
لكنه صار فيها كثير التهور في الكلام لا يراعي مقام احد . وتركنا سورية  
سنة ١٨٨٥ وهو على هذه العبورة وبلغنا انه بقي عليها الى ان ادركته الوفاة  
منذ عهد قريب . ويظهر لنا ان جانباً من دماغه كان يعمل بشدة في حالة الجدل  
فاذا تمب تولد الضعف وحمل ضعيفاً الى ان يترد قواه . وكل ما فيه داخلي  
Subjective لا من روح خارجي يعمل به . ومثله مثل كثيرين من الذين  
يتناولون الحشيش فانهم يصرون في حالة التحشيش غاية في الظرف والذكاء كأنهم  
بدلوا باشخاص آخرين وهم ليسوا كذلك في حالهم العادية . ومثل بعض الذين  
يتعاطون المورفين . لعرف محامياً منهم كان اذا زال منه فعل المورفين عنوان  
الكتابة والسامة والضجر من الحياة فاذا حتن نفسه بالمورفين ولو خلسة صار  
عنوان البشاشة والظرف والطلق لسانه في الكلام وسرد الحجة بعد الحجة . ولا  
نظن ان احداً يدعي الآن ان ما يصيب هؤلاء الناس من تغير الاحوال ناتج عن  
فعل ملاك او شيطان او روح ميت من الاموات . لان ارواح الملائكة والشياطين  
والموتى غير موجودة حتماً بل لان هذه الاحوال لا تستزم ان تكون من افعال  
الارواح . وسنزيد هذا الموضوع بياناً في الجزء التالي